

#### تقديم:

تعددت الاتجاهات النظرية التي أثرت في الأنثروبولوجيا الحديثة، والتي كان الهدف منها دراسة وفهم الإنسان من منظور كلي، فكان لها دور كبير في تفسير الظواهر ومختلف الأنماط الثقافية السائدة في المجتمعات البشرية، وفيما يلي سنتناول موضوع وهدف الأنثروبولوجيا الحديثة، أهمية الأنثروبولوجيا في العصر الحالي، النظريات الأساسية في الحقل الأنثروبولوجي.

#### 1) موضوعها وهدفها:

ظهرت الأنثروبولوجيا الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين، واهتمت بدراسة المجتمعات الإنسانية بالاعتماد على الدراسات الميدانية- التحليلية للحياة الاجتماعية والثقافية، مما ساعد في ظهور التخصص في هذا العلم، وساهم في إرساء الدعائم الأساسية في علم الأنثروبولوجيا.

حيث اتجهت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة نحو دراسة النظم الاجتماعية كما هي في الوقت الراهن دون ضرورة البحث في أصولها التطورية أو انتشارها الحضاري، إذ تتناول الأنماط المترابطة والمتغيرة، باستخدام نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، مع وصف وتحليل النظم الاجتماعية للإنسان المعاصر وذلك من باب كونها امتداد للأنثروبولوجيا التقليدية، إلا أنها وفي نفس الوقت أصبحت تعنى بالقضايا الحديثة والمعاصرة، كعالم التفردات الكونية، الوحدة والتعدد، الأمكنة واللاممكنة، الحداثة وما فوق الحداثة، الهوية والاختلاف، وغيرها...

#### 2) أهمية الأنثروبولوجيا في العصر الحالي

تكمن أهمية الأنثروبولوجيا أنهالتقي بالإنسان في عمق الإنسان كونه يشكل محورا للحياة على وجه الخليقة، بحيث تكون قادرة على فهم طبيعته من خلال دراسة محيطه وموروثه الثقافي والاجتماعي، والبحث في تاريخ الشعوب وحاضرها، واستنادا إلى مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها، يمكن أن نجزم بأن دراسة هذا العلم والبحث فيه له أهمية كبيرة في العصر الحالي لأنه يحقق مجموعة من المعارف منها:

- وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفاً دقيقاً، وذلك عن طريق معايشة الباحث للمجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكيات في تعاملهم، في الحياة اليومية.

- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان: بدائي، زراعي، صناعي، معرفي، تكنولوجي.

- تحديد أصول التغيير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغيير، وعملياته بدقة علمية، وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير

المختلفة.

- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية / الحضارية التي تتم دراستها وبالتالي إمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.

### 3) النظريات الأساسية في علم الأنثروبولوجيا :

#### 3-1) النظرية التطورية الحديثة : ظهر في نهاية النصف الأول وبداية النصف الثاني من القرن

العشرين عدد من الأنثروبولوجيين الذين بدأوا يضعون نظرية خاصة لدراسة المجتمعات الإنسانية ومراحل تطورها وموقع التغيير الثقافي في ذلك ، وكان من أبرزهم عالم الآثار الإنكليزي **جوردين تشايلد** ، والأميريكي **ليزلي هوايت** . وقد حظيت إسهاماتهم بأهمية كبيرة على مستوى الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، حيث حاول هؤلاء من خلال النظرية التطورية المحدثة تدارك إخفاق النظرية التطورية الكلاسيكية حول التطور الاجتماعي للمجتمعات عبر التاريخ والذي جعلها تتعرض لانتقادات كبيرة قللت الى حد ما من أهميتها.

وبالرغم من أن أفكار التطوريين المحدثون جاءت مماثلة الى حد كبير لأفكار التطوريين في القرن 19 إلا أنهم أضافوا إليها بعض التعديلات ذات الصلة بميكانيزمات التغيير الثقافي، ففي الوقت الذي لم تربط فيه النظرية الكلاسيكية عملية تطور المجتمعات بعوامل معينة وتركتها تلقائياً، اتجهت النظرية المحدثة الى ربطه على مستوى الثقافة بعوامل متعددة، وفي هذا الإطار يشير **هوايت** في كتابه **علم الثقافة** المنشور عام 1949 أنّ من المهمّ ألا تقتصر النظرية التطوريّة على تحديد مراحل معيّنة لتسلسل النمو الثقافي، ودعا إلى عدم استخدام النظم الأوروبية كأساس لقياس التطور، وإنّما لا بدّ من إبراز العامل أو العوامل التي تحدّد هذا التطور. ويمثّل عامل **الطاقة** في رأيه المحك الرئيسي لتقدّم الشعوب، أي أنّ المضمون التكنولوجي في ثقافة ما يحدّد كيانها الاجتماعي واتّجاهاتها الأيديولوجية . حيث يرى **هوايت** أنّ الثقافة تنمو وترقى بازدياد **كمية** **الطاقة** و **الكفاءة المتخصصة لهذه الطاقة** ، بمعنى أنّ الخبرة الإنسانية المتراكمة في مجال التحكم في الطاقة هي عامل مهم للتطور الثقافي للمجتمع.

كما يؤكد **هوايت** بأن تطور الأنظمة الاجتماعية مرهون بتطور الأنظمة التكنولوجية، واعتبر أن معيار تقييم تقدم المجتمع وهو مقدار الطاقة التي يستهلكها هذا المجتمع، فميز بالتالي بين خمسة مراحل مختلفة للتطور البشري ممثلة في الشكل التالي:

## المحور الخامس: الأنثروبولوجيا الحديثة

### المحاضرة 08: الأنثروبولوجيا الحديثة

#### مراحل تطور المجتمعات البشرية عند ليزلي هوابت



كما أوضح جوردن تشايلد أن الثورة العلمية والتكنولوجية وكل التحولات الكبرى في التطور الإنساني هي عوامل أساسية في تغير النسيج الكلي للحياة الثقافية سواء على مستوى الأبنية الاجتماعية أو السياسية أو التنظيمات الأخرى.

- الانتقادات الموجهة للنظرية ال تطورية المحدثة : لاقت النظرية التطورية المحدثة جملة من الانتقادات أهمها:

✓ إهمالها للإسهامات التي جاءت بها النظرية التطورية الكلاسيكية

✓ إهمالها للأصول الأولى للتنوع الثقافي، وتأكيدا بأن التنوع هو في الأساس تواتر احتياجات مدركة بالحواس بوعي أو دون وعي أكثر من كونه نتاجا للاصطفاء ( الانتقاء ) الطبيعي.

#### 3-2) المادية الثقافية (التيار الثقافي): نشأت المادية الثقافية على يد العالم مارفن هاريس عام

1968 الا أن جذور هذا النظرية تهود للأفكار المادية الماركسية، وتؤكد هذه النظرية على أن العالم المادي يؤثر على سلوك البشر في مجتمعهم، وبما أن السلوك البشري هنا يصبح جزء من الطبيعة فيمكن فهمه وتفسيره بنفس منهجية فهم الظواهر الطبيعية، أي باستخدام مناهج العلوم الطبيعية.

ويعطي أنصار المادية الثقافية الأولوية للعالم المادي على الفكر والايديولوجيا المحيطة، حيث يركزون على دراسة تكيف الإنسان مع البيئات الاجتماعية والطبيعية (بشير التكيف البشري إلى كل العمليات الحيوية والاجتماعية التي تمكن المجتمعات من البقاء والتكاثر في بيئة معينة أو متغيرة )، ويمكن تنفيذ ذلك تاريخيا

## المحور الخامس: الأنثروبولوجيا الحديثة

### المحاضرة 08: الأنثروبولوجيا الحديثة

من خلال فحص الكائنات التي كانت موجودة في عصور مختلفة، أو تزامنيا من خلال دراسة النظام الحالي ومكوناته، والحجة الرئيسية لهذه النظرة هو أن البيئة الطبيعية في المجتمعات صغيرة الحجم تكون مساهم رئيسي في التنظيم الاجتماعي والمؤسسات الإنسانية الأخرى.

إذ تؤكد هذه النظرية على العلاقة والتفاعل الديناميكي بين الإنسان والمكونات المادية والثقافية لبيئته، أين تكون النتيجة الحتمية لهذا التفاعل هو أن الثقافة تعدل البيئة، والبيئة تفرض حدودها أيضا على الثقافة الإنسانية، وبعبارة أخرى فان منظور البيئة الثقافية يجزم على فكرة تأثير الاستخدام البشري للإنسان على الطبيعة وعلى تأثيره بالتنظيم الاجتماعي والقيم الثقافية، فالبيئة تحدد ثقافة المجتمع، وكل ثقافة ينظر إليها على أنها مثال معين للتكيف النمطي مع بيئة محددة،

وقد طور عالم الأنثروبولوجيا **جوليان ستوارد (1902-1972)** هذه النظرية، حيث يعد أول من صاغ مصطلح **البيئة الثقافية** كمنهجية لفهم كيفية تكيف البشر مع المجموعة الواسعة والمتباينة من البيئات الطبيعية، حيث تمثل البيئة الثقافية الطرق التي يحدث بها تغيير الثقافة من خلال التكيف مع البيئة، ويصبح التكيف البشري هنا جزء من التاريخ الموروث، ويشمل التقنيات والممارسات والمعرفة التي تسمح للناس بالعيش في بيئة معينة. وقد لاقى هذا المفهوم رواجا كبيرا بين علماء الأنثروبولوجيا والآثار في منتصف القرن العشرين، على الرغم من الانتقادات التي واجهها.

ويمكن تلخيص آراء ستوارد حول البيئة الثقافية في النقاط التالية:

- ✓ توثيق التقنيات والطرق المستخدمة لاستغلال البيئة للعيش فيها.
- ✓ النظر إلى أنماط السلوك/ الثقافة البشرية المرتبطة باستخدام البيئة.
- ✓ تقييم مدى تأثير أنماط السلوك هذه على جوانب أخرى من الثقافة، وكمثال على ذلك يرى بأن هناك اهتمام شديد لبعض الجماعات بهطول الأمطار في منطقة معرضة للجفاف بل وأصبح ملازما لحياتهم اليومية، ما أدى إلى تطوير معتقدات دينية حول تساقط الأمطار، وفي المقابل لا يظهر هذا الاعتقاد عند جماعات أخرى ترى بأن هطول الأمطار أمرا مسلما به للمحاصيل الزراعية، أو تتجه مباشرة إلى الري كحل بديل.

● **الانتقادات الموجهة لنظرية البيئة الثقافية:** لاقت نظرية البيئة الثقافية جملة من الانتقادات أهمها:

- ✓ تأكيدها على التأثير الحتمي للبيئة الفيزيائية والبيولوجية على الثقافة، والذي ينطوي على فكرة الحتمية البيئية المطلقة على تصرفات الإنسان، وهو ما وجد معارضة كبيرة لدى الكثير من علماء الاجتماع.
- ✓ تأكيدها على الأهمية المفرطة للظروف الهيكلية وللتوازن الاجتماعي - الإيكولوجي على حساب التغيير الاجتماعي.

خلاصة:

تكتسي دراسة علم الأنثروبولوجيا أهمية كبيرة في العصر الحالي لأنها تمكننا من اكتساب مجموعة من المعارف المتعلقة بنشأة الإنسان وتطوره عبر التاريخ، وكذا تصنيف مظاهر الحياة البشرية واكتشاف أصول التغير وغيرها...، وقد ظهرت عدة نظريات في هذا الحقل العلمي جاءت كمحاولة لتفسير مختلف الظواهر الإنسانية منها النظرية التطورية الحديثة وكذا نظرية البيئة الثقافية التي قدمت إسهامات فكرية مهمة ساهمت في إثراء الجانب التنظيري لهذا العلم.

قائمة المراجع:

- 1) عثمان لكعشمي: " من جل أنثروبولوجيا جديدة لعالم جديد"، مجلة الفيصل، العدد 509، 2019.
- 2) شريهان حوامدة (2020/10/13): مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها وأهميتها ، موقع إي عربي، تمت زيارة الموقع بتاريخ: 2022/09/10، على الرابط: <https://e3arabi.com>sociology>
- 3) سفيان ميمون : قراءة في الاتجاهات والنظريات الأساسية في الانثروبولوجيا ، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، تمت زيارة الموقع بتاريخ: 2022/11/13، على الرابط : <https://www.politics-dz.com>
- 4) فرح الحسين: النظرية المادية الثقافية في الأنثروبولوجيا، تمت زيارة الموقع بتاريخ : 2022/12/01، على الرابط: <https://www.elakademiapost.com>
- 5) عدنان أحمد مسلم: محاضرات في الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، مكتبة العبيكات، الرياض، 2001.
- 6) أوراغي أحمد: " الأنثروبولوجيا والاستعمار - قراءة في صورة الجزائرية في المؤلفات الأنثروبولوجية الاستعمارية" ، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 05، العدد 02، 2013/12/01.